

تأملات في آيات النور

إعداد

د/ يوسف بن عبد العزيز بن عبد الله الشبل

قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فهذا بحث بعنوان (تأملات في آيات النور)، قصدت منه بيان حقيقة النور في لغة العرب، ثم تقصي ورود لفظ النور في القرآن الكريم في مكّيه ومدنيه، معرفاً ومنكراً، حيث بلغ تسعة وأربعين موضعاً، تناولته هذه الدراسة موضعاً موضعاً، تبيين من خلالها أن لفظ النور في كتاب الله شمل النور الحسي الذي يساعد على الإبصار كنور الشمس والقمر، والمعنوي وهو ما يعقل بعين البصيرة كنور الهداية والطاعة. كما أنه شمل النور الدنيوي والأخروي،

وقد اقتضت هذه الدراسة تقسيم لفظ النور حسب وروده في القرآن الكريم إلى ستة فصول اتضح من خلالها أن النور حقيقته الضياء والاستنارة، وأنه اسم من أسماء الله الحسنى ومن صفاته العليا، وأنه جاء إطلاقه على القرآن العظيم وغيره من الكتب المنزلّة، وعلى النبي الكريم والدين القويم، وأن النور في الحقيقة هو نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

هذا وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية البحث بلفظ من الألفاظ المتعددة المعنى مما حواه كتاب الله، واهتمام المفسرين بذلك، كما أظهرت هذه الدراسة ما اشتمل عليه كتاب الله من أسرار بلاغية، ونكات بديعية، ولطائف خفية، فمن تدبر كتاب الله، وتأمل آياته زاده ذلك إيماناً و يقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم، وهذا سرٌّ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، والله الموفق وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

المقدمة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معارفه، فمعينه لا ينضب، وعطاؤه لا ينفد، علومه تتجدد، وفيضه يتدفق، كلما تدبره المسلم وأمعن النظر فيه زاده ذلك إيماناً و يقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم.

وأهل العلم يتدبرون آياته، ويستخرجون حكمه، ويستنبطون أحكامه، ويكشفون ما قد يخفى من ألفاظه ومعانيه ويظهرون أسرار الكامنة وكنوزه المغمورة.

والقرآن الكريم كثيراً ما يورد ألفاظاً متفقة في لفظها مختلفة في معناها، حتى إن بعضها ليصل إلى عشرات المعاني أو أكثر.

ومن هذه الألفاظ المشتركة لفظ النور الذي تعددت معانيه، فقد جاء في كتاب الله ﷻ في مواضع مختلفة وآيات عديدة بإطلاقات متعددة، فجاء لفظ النور على إنه اسم من أسماء الله الحسنى، وأنه صفة من صفاته العليا، ووصف ﷻ به كنية المتزلة، بل خص بهذا الوصف القرآن الكريم، ووصف به رسوله الكريم ﷺ، وسمى شرعه القويم بذلك، ولا ريب أن هذه أمور مختلفة جاءت بلفظ واحد، مما قد يشكل أمره على الكثير، فكان هذا الأمر دافعاً قوياً حفزني على استقصاء وجمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا الموضوع، ثم الوقوف معها، وكشف ما فيها من اللبس لتجليتها وتحليلها وبيان المراد منها، وكشف ما فيها من أسرار وهدايات.

وثمة أمر آخر وهو أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسته دراسة تفسيرية فأجبت أن أشارك في هذا المضمار والغوص في أعماق هذا الكتاب المعجز، فاستعنت بالله تعالى على بحث هذا الموضوع بتقصي مواطنه التي ورد فيها لفظ النور في كتاب الله وبيان أقوال المفسرين ليكون ذلك خدمة لكتاب الله ﷻ، وإسهاماً في إبراز شيء من جوانبه وتجليته لأسراره وهداياته .

هذا وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها أهمية البحث وسبب الكتابة فيه، وخطته والمنهج المتبع.

وأما التمهيد ففيه معنى النور في لغة العرب والمراد به اصطلاحاً.

ثم بعد ذلك فصول البحث الستة مرتبة على النحو التالي:

الفصل الأول: حقيقة النور الضياء والاستنارة.

الفصل الثاني: الله جل جلاله هو النور.
 الفصل الثالث: القرآن الكريم هو النور المبين.
 الفصل الرابع : الرسول ﷺ نور يُهتدى به.
 الفصل الخامس: دين الله هو النور المبين.
 الفصل السادس: النور نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.
 ثم بعد ذلك الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.
 هذا وقد كان منهجي في دراسة هذا الموضوع على النحو التالي:
 أولاً: أورد في كل فصل آيات النور المتعلقة به، ثم أبين معناها ووجه الدلالة منها مع إبراز ما فيها من الأسرار البلاغية واللطائف الدقيقة مما يذكره أهل التفسير.
 ثانياً: عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
 ثالثاً: تحريج الأحاديث و الآثار من مصادرها مع الحكم عليها ما أمكن.
 رابعاً: تعريف الأعلام غير المشهورين تعريفاً موجزاً.
 خامساً: توثيق أقوال أهل العلم من مصادرها.
 سادساً: وضع فهرس مفصلة في آخر البحث.
 أمل أن أكون قد وفقت في الإسهام في خدمة كتاب الله، وفي إبراز شيء من هداياته، وأن أكون جمعت فيه ما تفرق وقربت منه ما بعد، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تمهيد :

معنى النور في لغة العرب:

قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، ومنه النور والنار سميَا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة، وتنورت النار تبصرتها - ثم قال - والذي قلناه في قلة الثبات: امرأة نَوَارٌ أي: عفيفة تنورُ، أي تنفر من القبيح». اهـ^(١).

وما ذكره ابن فارس يفيد أن كلمة النور تدور على معانٍ :

أولها: الإضاءة، فيقال: أضاء الشيء أي: أثار واستنار إذا وضُح وبان، والنور هو الذي يبين الأشياء ويُري الأبصار حقيقتها.

وفي القاموس المحيط: «التُّورُ: الضياء، نار وأنار واستنار ونورٌ وتنورُ السراجُ: أثار». اهـ^(٢)

ثانيها: الاضطراب، وذلك أن النور والإضاءة والإنارة فيه سرعة الحركة والتحريك، ومنه قولهم: نارت الفتنة تنور، إذا وقعت وانتشرت فهي ناترة، فإذا أطفئت سكنت.

ثالثها: قلة الثبات، والنَّوار النَّفَّار، ونرتته وأنرتته نفرتته، وبقرة نوار تنفر من الفحل، وامرأة نوار أي: عفيفة تنفر من كل قبيح وريبة. اهـ^(٣)

وجاء في لسان العرب: «التُّورُ: الضياء، والنور ضد الظلمة، نار وأنار لازم ومتعدٍ وأثار المكانَ وضع فيه النور، والمنار العلم وما يوضع بين الشئين من الحدود». اهـ^(٤)

وهذا الكلام مع شدة إيجازه يكشف عن أمور:

أولها: أن النور ضد الظلمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾^(٥).

وإنما ذكر الظلمات بصيغة الجمع والنور بصيغة الأفراد لتعددتها واختلاف أجناسها، ولأن الحق واحد والباطل

كثير. اهـ^(٦).

ثانيها: أن فعل النور لازم ومتعدٍ، تقول: نار السراجُ فأثار المكانَ.

ثالثها: أن المنار بمعنى المعلم لظهوره وتميزه عن غيره، ففي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «لعن الله من غيّر منار الأرض»، اهـ^(٧) أي: أعلامها وحدودها،^(٨) ومنار الإسلام معالمه وشرائعه، ومنارة المسجد منادته التي يؤذن عليها، ويتميز بها عن غيره، وتور الشجر إزهاره من الإنارة، يقال نورت الشجرة وأنارت إذا أخرجت نورها وهو زهرها وخضرتها، وذلك لظهوره وسطوعه.^(٩)

ويوضح الراغب الأصفهاني أن النور ضربان: معنوي وحسي، كما يبين أنه أيضاً ضربان دنيوي وأخروي، ومنه ما هو عام، ويؤيد ما يقوله بشواهد من القرآن الكريم فيقول: «النور الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: ضرب معقول يعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس يعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة

كالقمرين والنجوم والسنيرات، فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾^(١٠).

ومن الخسوس الذي يعين البصر نحو قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(١١)، وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور، ولما هو عام فيهما قوله: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾^(١٢).

ومن النور الأخرى قوله: ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾^(١٣)، والمنازة مفعلة من النور أو من النار كمنارة السراج أو ما يؤذن عليه، ومنار الأرض أعلامها، والنوار النفور من الريبة وقد نارت المرأة تنور نوراً ونواراً، ونور الشجر ونواره تشبيهاً بالنور، والنور ما يتخذ للوشم يقال نورت المرأة يدها، وتسميته بذلك لكونه مظهرًا لنور العضو « اهـ »^(١٤).

وجاء في تعريف النور اصطلاحاً « أنه كيفية تدرجها الباصرة أولاً، وبواسطتها سائر المبصرات »^(١٥).

وعرفه بعضهم بقوله: « النور هو اسم للكيفية العارضة من الشمس والقمر والنار على ظواهر الأجسام الكثيفة كالأرض »^(١٦).

الفصل الأول: حقيقة النور الضياء والاستنارة

حقيقة النور الضياء والاستنارة، وهو عبارة عن الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار وهو ما تحدثه الأجسام النيرة كالشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها مما يضيء ويشع بنوره، والآيات القرآنية في كتاب الله ﷻ تشير إلى تلك الحقيقة، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(١٧)، الشمس جعلت ضياءً، أي: ذات ضياء أو مضيئة، والضياء: النور الساطع القوي، لأنه يضيء للرائي، والقمر جعل نوراً، أي: ذا نور أو منور، والنور: الشعاع المستفاد من الضوء، وقيل: الضياء ما يضيء الأشياء، والنور ما يبين فيخفى.

وإنما خصت الشمس بالضياء، لأنها أعظم جرماً ولأن الضياء له سطوع ولمعان وحرارة وتوهج، وهو المناسب مع النهار الذي فيه الحركة والعمل، بخلاف القمر فقد خص بالنور، لأن النور يشمل القوي والضعيف، ولأن نور القمر مستفاد من الشمس وهو المناسب مع الليل الذي فيه الهدوء والسكن،^(١٨) ولذا وصف الله ﷻ الشمس بأنها سراج في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَّاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾^(١٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَّاجًا ﴾^(٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا

سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿٢١﴾ والسراج: المصباح الزاهرُ نورُه الذي يوقد بفتيلة في الزيت فيضيء إضاءة بليغة، ووصف الشمس بذلك من التشبيه البليغ، والغرض منه تقريب المشبّه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل، وكان من مقتضى هذا التشبيه شدة الإضاءة مع شدة الحرارة والتلهب، ﴿٢٢﴾ وقوله: ﴿ وَهَاجًا ﴾، الوهاج المتألئء المضيء، أي: سراجاً وقاداً شديد الإضاءة، ﴿٢٣﴾ وأما القمر فقد وصف في الآيات السابقة بالإنارة: ﴿ وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾، ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ أي: ينير الأرض ضوءه إنارة مفيدة، يستنير به الساري ويتبدد به الظلام.

والنور ضربان: دنيوي وآخروي، والدنيوي ضربان: حسي ويكون بعين البصر، وهو ما ينتشر من الأجسام النيرة كالشمس والقمر والنجوم التي هي مصابيح السماء والنار وغيرها مما يستنار به ويستضاء مما يخلقه الله ﷻ، ومعنوي ويكون بعين البصيرة وهو ما ينتشر من الأمور الإلهية كنور الإيمان والطاعة والهدى والعلم والقرآن والحكمة.

فمن الآيات التي شملت النوعين الحسي والمعنوي ما يلي:

١) قال تعالى: ﴿ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ﴿٢٤﴾. فالنور في الآية شامل للنوعين الحسي كنور النهار والشمس والقمر والنجوم ونحوها والمعنوي، ونور العلم والإيمان واليقين، والطاعة والهداية.

وقدمت الظلمات على النور لتقدم الإعدام على الملكات، وجمعت الظلمات وأفرد النور لتعددتها واختلاف أجناسها، ولأن الحق واحد والباطل كثير، مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين الجملتين، السموات والأرض، والظلمات والنور. ﴿٢٥﴾

٢) قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَبَضْرِبُ اللَّهِ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٦﴾

والآية تشمل النور المحسوس المشهود بالابصار الذي استنارت به أقطار السموات والأرض، والنور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب الذي اهتدى به أهل السموات والأرض، فهو سبحانه وتعالى النور وحجابه النور به استنارت السموات والأرض، وبنوره استنار العرش والكرسي والجنة والشمس والقمر والنجوم، فهو منور

السموات والأرض، وكتابه نور وشرعه نور والإيمان به نور، وبنوره اهتدى الحيارى الضالون إلى طريقهم، وإنما أضيف النور إلى السموات والأرض لكمال شيوعه وغاية شموله^(٢٧) وللآية وقفة أخرى في الفصل التالي يتضح من خلالها ما فيها من معاني ودلالات.

٣ قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٢٨)، الآية في سياق بيان حقيقة أوصاف المنافقين، أجملت صفاتهم المتقدمة بضرب مثل محسوس مشاهد وهو النار في إضاءتها، لأنه أقرب في إيصال المعاني إلى الأذهان، وهو نور الإيمان الذي استوقدوه من المؤمنين ولم ينتفعوا به، فمثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً وهو في ظلمة عظيمة، استوقدها من غيره، فلما أضاءت النار ما حوله ونظر الخل الذي هو فيه وانتفع وقرت بما عينه، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره وبقي في ظلمة عظيمة ونار محرقة، فتعددت عليه الظلمات، ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور فكيف تكون حاله؟ وكذلك هؤلاء المنافقون استوقدوا نور الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم فانتفعوا بها في حقق دمايتهم، وسلامة أمواتهم، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، فأصبحوا في ظلمات ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق والمعصية، ثم نار جهنم.

ومعنى وقود النار إضرارها حتى تشع ويرتفع هبها، وتكبرها للتفخيم، وأما إضاءتها فهو ارتفاع شعاعها وسطوع هبها، وإنما جمع الضمير في: ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ مع كونه عائداً إلى المفرد في: ﴿ مَا حَوْلَهُ ﴾ مراعاة المشبه وهو المنافقون، دون المشبه به وهو المستوقد تأكيداً للغرض الأصلي وهو ذهاب نور الإيمان منهم.

واختيار لفظ النور عوضاً عن النار، للتنبية على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين، فعبر بالنور لأنه المقصود من الاستيقاد، وجمع الظلمات لإفادة شدة الظلمة وتعددتها.^(٢٩)

فهذا النور الدنيوي بنوعيه الحسي والمعنوي، وأما النور الأخروي فقد أشارت إليه الآيات القرآنية في مواضع من كتاب الله ﷻ وهي:

١ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُمْ بَابٌ

بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهْرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿٣٠﴾.

الآيتان في بيان ما يحصل للمؤمنين والمؤمنات من الثواب، وما يحصل للمنافقين والمنافقات من الحرمان، فمما يحصل لعباد الله وأوليائه من المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة من الثواب ومما يمنُّ به ﷻ عليهم أن يبشروا بأعظم بشارة وهو فوزهم بجنات النعيم وأن يهبهم النور التام الذي يسعى بين أيديهم وبأيامهم حينما تكور الشمس ويذهب ضوؤها، ويخسف القمر ويذهب نوره، ويصير الناس في ظلمة وقد نصب الصراط على متن جهنم، هنالك يسعى المؤمنون والمؤمنات بنورهم، وهو بين أيديهم وبأيامهم، كل على قدر إيمانه.

أما المنافقون والمنافقات فإنهم إذا رأوا نور المؤمنين يمضون به وهم قد طغى نورهم ويقوا في الظلمات حائرين، طلبوا من المؤمنين أن يمهلوهم لينالوا من نورهم حتى ينجوا من العذاب، فيقال لهم تمكماً بهم: ارجعوا إلى النور الذي وراءكم، أو إلى الدنيا، فيضرب بينهم بحاجز منيع، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة والنجاة والنور، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب والهلاك والظلمة. (٣١)

وهذا النور نور حقيقي، وإضاءة واستنارة حقيقية للمؤمنين والمؤمنات، حينما يكون الناس في ظلمة، وإضافته إليهم تقتضي أنه خاص بهم لا يشار إليهم فيه غيرهم، وهو أثر من آثار إيمانهم وأعمالهم الصالحة التي هي نور معنوي، وقوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، أي: أمامهم ومن جميع جهاتهم، وهو يفيد دنوه منهم والتصاقه بهم، وتخصيص الأيمان مع أن المراد كلا اليدين للتشريف، والتعبير بالسعي دليل على سعي صاحبه، وإلا لانفصل عنه وتركه.

وفي قوله: ﴿بُشِّرِكُمُ الْيَوْمَ﴾، التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب، تكريماً لهم وعناية بهم، وقوله: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾، فيه دلالة على إسراع المؤمنين بنورهم وأهم قد طلبوا منهم المهلة، والاقْتِسَابُ من القبس وهو الشعلة، دليل على عظم نورهم.

وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾، أسلوب تمكّم وسخرية واستهزاء، مقابلة باستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا. (٣٢)

٢) ومثل هذا التكريم للمؤمنين بهذا النور العظيم في الدار الآخرة ما جاء في آية التحريم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (٣٣) الخزي: الهوان والذل والخذلان، وهذا اليوم يوم إعزاز وتكريم للنبي ﷺ والذين معه، لأن في نفي الخزي عنهم إثبات الكرامة والعزة لهم، ومن أعظم التكريم أن يمنحهم الله ﷻ هذا النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيامهم، وهم إذا رأوا المنافقين قد أطفئ نورهم يسألون ربهم إتمام نورهم، ولأنه يتفاوت نورهم فيسألونه الإتمام، ومن حسن أدبهم مع ربهم أنهم إذا رأوا هذا التكريم لم ينسوا تقصيرهم ونقصهم فيطلبون من الله المغفرة، (٣٤) وتقديم ﴿نُورُهُمْ﴾ على الفعل ﴿يَسْعَى﴾ هنا، وتأخيرها في آية الحديد، لأنه لما ذكر النبي ﷺ والمؤمنين معه، أراد إثبات النور لهم فجاء بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام، بخلاف آية الحديد فهي

بشارة لهم يناسبها تقديم الفعل الذي يفيد الحدوث والتجدد. (٣٥)

٣ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. (٣٦)

فمن حقق الإيمان بالله وأقرّ بوحدانيته وآمن برسله وأتبع ما جاءوا به من عند ربهم، وهذا يشمل الإيمان بجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، وجمع بين هذه الأمور فأولئك هم الصديقون، الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء، وإنما جمع الرسل تعريضاً بأهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، والصديق مبالغة في المصدق، واسم الإشارة للتبويه بشأنهم وللتبويه على أن المشار إليهم استحقوا ذلك من أجل تلك الصفات.

وقوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، الواو إما عطف على ما قبله، أي: وهم الشهداء على الأمم يوم الجزاء، وإما استئناف، خبر عن الشهداء في سبيل الله وما لهم من الثواب، وهو يدل على علوهم وقربهم من الله، والآية محتملة. (٣٧)

فهؤلاء الموصوفون بتلك الصفات، هم الموعودون بالأجر العظيم والنور التام الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يستضيئون به على قدر أعمالهم، وإضافته إليهم تكريم لهم، وفيه دلالة على أنه خاص بهم لا يشار إليهم فيه غيرهم.

الفصل الثاني: الله جل جلاله هو النور

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (٣٨) الله نور السموات والأرض، به استنارت السموات والأرض وما فيهما، فهو سبحانه نور، وحجابه نور، وكتابه نور، وشرعه نور، وهدايته نور منه سبحانه، والنور صفة من صفاته عليه السلام قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى (٣٩)، ففي الحديث: «لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن». (٤٠)

فالآية شملت النور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار السموات والأرض، والنور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب الذي اهتدى به أهل السموات والأرض، فهو سبحانه وتعالى منور السموات والأرض، وإنما أضيف النور إلى السموات والأرض لكمال شيوعه وغاية شموله. (٤١)

« ثم ضرب الله ﷻ لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط غير النافذة، مثل الصدر، وفي المشكاة زجاجة صافية صفاء الكوكب المضيء إضاءة الدر، وهي مثل القلب، وشبه القلب بالزجاجة بجامع الصفاء والرقه والصلابة.

وهذه الزجاجة فيها مصباح وهو النور الذي في الفتيلة وهي حاملته، ومادة هذا النور هو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره فزيتها من أصفى الزيوت حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح الحقيقي، كذلك مادة نور المصباح المعنوي الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي من أعظم الأشياء بركة وهي أوسط الأمور وأعداها، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن»^(٤٢).

وهذا الزيت مع شدة صفائه يكاد يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، وقلب المؤمن كذلك، يضيء بفطرته السليمة فإذا جاءه الهدى ازداد نوراً على نور، والله يهدي لنوره ويوفق لاتباع شرعه وتدبر كتابه من يشاء من عباده ممن يعلم منه قبول الحق والإذعان إليه، وإنما ضرب الله هذا المثل للناس لأجل أن يعقلوا عنه أمثاله وحكمه، فإن ضرب الأمثال سبب في توضيح الأحكام وتبيين الأشياء وتقريب المعاني للأذهان.^(٤٣)

وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه ، وانتشار إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض، وإما أن يراد أن أهل السموات والأرض قد استضاءوا بنوره واهتدوا به، وفي إمام الشجرة في قوله: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ووصفها بالبركة ثم الإبدال عنها أو بياها تفخيم لشأنها.

وقوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: ضاحية للشمس لا يظلمها جبل ولا شجر ولا يحجبها عنها شيء من حين تطلع إلى أن تغرب، وذلك أحسن لزيتها، ومن ثم خصت شجرة الزيتون لأن لب ثمرها الزيت الذي تشتعل به المصابيح، وخص هذا الدهن لمزيد إشراقه مع قلة الدخان.^(٤٤)

وإذا كان يوم القيامة وذهبت الأنوار الموجودة، فالشمس عند ذلك تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، وأصبح الناس في ظلمة حينها تشرق الأرض بنور ربها وتضيء، وذلك عندما يجيء الرحمن ﷻ فيبرز لفصل القضاء بين خلقه، وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٤٥).

وإشراق الأرض إضاءتها بنور الله ﷻ، يقال: أشرقت الشمس، إذا أضاءت وصدت، وأشرقت: إذا طلعت، وإشراق الأرض يكون حينما يبرز الرحمن ﷻ لفصل القضاء بين خلقه يتجلى ويتزل للفصل بينهم، ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد، وجيء بالنبیین والشهود على الأمم ليسأل الله النبيين عن التبليغ وعما أجابتهم به أممهم، كما تأتي أمة محمد ﷺ لتشهد بتبليغ الرسل السابقين لأممهم إذا أنكرت هذا التبليغ فتقوم الحجة على الأمم، وقضي رب العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثواب أو زيادة

عقاب. (٤٦)

وإنما جيء بالماضي في الأفعال: ﴿ وَأَشْرَقَتْ وَوُضِعَ وَجِئَءَ، وَقُضِيَ ﴾، لأنه محقق الوقوع، والكتاب: صحائف العباد، وإفراده قصد به الجنس. (٤٧)

الفصل الثالث: القرآن الكريم هو النور المبين

القرآن الكريم كتاب هداية للخلق جميعاً، حتم الله ﷻ به ما سبقه من الكتب وأودع فيه ما يحتاجه الخلق لإصلاح حياتهم، عقيدة وشريعة وآداباً وسلوكاً، فكان حقاً نوراً مضيئاً، أنار للناس طريقهم نحو السعادة الحقة، واستضاءت به الدنيا بعد الظلمات، واستنارت به العقول بعد الجهالة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾. (٤٨)

هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف القرآن بأنه نور مبين، نور من عند الله، والله نور السموات والأرض، وقد سماه الله نوراً لأنه أشبه النور في إيضاح المطلوب باستقامة حجته وبلاغته كلامه، وإرشاده إلى الحاصل القويمة.

قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾، (٤٩) فأخبر ﷻ الناس عموماً، أنه قد جاءهم الحق من ربهم وأنهم قد جاءهم البراهين القاطعة التي تقيم عليهم الحجة وتوضح لهم الحجة بما بعث به نبيه محمداً ﷺ، وشرع به شرعه القويم، والنور المبين هو القرآن الكريم لوقوع نور الإيمان في قلوب أهله، ولكونه سبباً في إخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال والجهل إلى نور الإيمان والهداية والعلم واليقين، فهو نير بنفسه منير لغيره، كالنور الحسي. (٥٠)

وإنما غاير بين الفعلين: ﴿ جَاءَكُمْ ﴾ و ﴿ وَأَنْزَلْنَا ﴾، لبيان أن الشرع برهان قاطع إنما جاء لإقامة الحجة على الخلق، وأن القرآن أنزل لهدايتهم وتبصيرهم، فأسنده إليه ﷻ بطريق الالتفات لكمال تشريفه، وإنزاله إليهم من غير ذكر المتزل إليه وهو الرسول ﷺ لكمال اللطف بهم والمبالغة في الإعذار،

والنتوين في: ﴿ بُرْهَانٌ ﴾ للتفخيم، والتصريح بذكر لفظ الربوبية مع إضافته إلى ضمير المخاطبين ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ لإظهار اللطف بهم والإشعار بأن مجيء ذلك لتربيتهم. (٥١)

وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِمْ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، (٥٢) والآية تعليم لكيفية اتباعه ﷻ ويان لعلورتبة متبعيه، الفاتنون بكل مطلوب الناجون من كل مرهوب، بعد بيان نعوته الجليلة في الآية نفسها: ﴿ الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي سَجَدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ ﴿٥٤﴾، فمن اتصف بهذه الصفات من الإيمان بالرسول ﷺ وتصديق ما جاء به، وتبجيله وتوقيره،
ونصرته على أعدائه واتباع ما أنزل إليه وهو القرآن الكريم فهم الموعودون بهذا الوعد الكريم.

وفي هذه الآية سمي الله ﷻ كتابه العزيز نوراً، وسبب ذلك أن بيانه في القلوب كبيان النور، ولأنه
ظاهر بنفسه مُظهِر لغيره، أو لكونه مظهرًا للحقائق كاشفاً عنها.

وأمر باتباع النور لأن اتباعه بمعنى الاقتداء بما جاء به القرآن الكريم، شُبه حال المقتدي بهدي القرآن بحال
الساري في الليل إذا رأى نوراً قد لاح له اتبعه، لعله يجد عنده نجاه وسلامة من أضرار السير، فالاتباع يكون
للاقتداء، والنور يكون للقرآن، لأن الشيء الذي يكون طريقاً لبيان الحق والرشد يشبه بالنور. (٥٣)

وإنما قال: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ﴾، وهو قد أنزل إليه، لأنه أنزل مع نبوته وظهر بظهورها. (٥٤)

وقال تعالى: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾. (٥٥)

الفاء فصيحة تفصح عن شرط قد حذف ثقة بظهوره، أي: إذا كان الأمر كذلك فآمنوا بالله الذي
لا أظهر من أن له الإحاطة الكاملة بكل شيء وقد سمعتم ما سمعتم من شؤونه ﷻ، ورسوله ﷺ البشر
الندير، وكتابه المنزل عليكم وهو القرآن الكريم، فإنه يعجزه بيبن نفسه مبین لغيره، وإنما سماه الله
نوراً، لأن النور ضد الظلمة، وهذا الكتاب الذي أنزله الله ﷻ وغيره مما أنزل من الكتب، وما فيه من الأحكام
والشرائع والأخبار أنوار يُهتدى بها في ظلمات الجهل المدهمة، والالتفات إلى نون العظمة لإبراز العناية
بشأن المنزل، ولزيادة الترغيب فيه. (٥٦)

وجاء في وصف القرآن الكريم أنه نور قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ
أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن
نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾. (٥٧) أي: مثل ما أوحينا إلى الرسل من قبلك أوحينا إليك هذا القرآن، وإنما سمي
القرآن روحاً، لأن الروح يحيى به الجسد، والقرآن يحيى به القلوب والأرواح، وأيضاً يحيى به مصالح الدنيا
والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير.

وهو نعمة من الله ﷻ على رسوله ﷺ وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ﴿مَا كُنْتَ
تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، أي: ليس لك دراية به ولا علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان
وعمل بالشرائع الماضية قبل نزوله عليك، لكن جاءك هذا الكتاب الذي جعله الله نوراً يُستضاء به في
ظلمات الكفر والبدع والأهواء المردية والجهالات، وتُعرف به الحقائق، ويُهتدى به إلى الصراط المستقيم،
والتنوين في: ﴿رُوحًا﴾، ﴿نُورًا﴾ يفيد العظمة، أي: روحاً عظيماً ونوراً عظيماً. (٥٨)

وإذا تأملنا الآيات القرآنية وجدنا أن الله ﷻ قد وصف كتبه بأنها نور، نيرة بنفسها منيرة لغيرها، نور يهتدي بها المهتدون، ويأتى بها السالكون، وتعرف بها الأحكام، ويميز بها بين الحلال والحرام، والحق والباطل، وتسنير في ظلمات الجهل، فجاء في وصف كتابه التوراة المتزل على رسوله موسى ﷺ بأنه نور، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾،^(٥٩) هدى يهدي إلى الإيمان والحق ويعصم من الضلالة، ونور يستضاء به في ظلمات الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، ويعرف به الحقائق.^(٦٠)

ولما زعم اليهود وغيرهم أن الله ما أنزل على بشر من شيء وهم بذلك ما قدروا الله حق قدره، ولا عظموه حق عظمته، لأنه قدح في حكمته بأنه ترك عباده هملاً، من غير شريعة ولا رسالة، يسرون عليها لينالوا بها السعادة والكرامة والفلاح، رد الله عليهم ملزماً لهم بفساد قلوبهم، وقررهم بما به يقرون، على وجه التشنيع والإنكار بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِمُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾،^(٦١) وهو التوراة المتزلة على موسى ﷺ، فيها نور العلم والإيمان والطاعة والسعادة، وفيها الهداية من الضلالة والشبهات والشكوك، والهداية إلى الصراط المستقيم علماً وعملاً.^(٦٢)

وكما وصفه كتابه التوراة بأنه نور وهدى وصفه بأنه ضياء يضى للناس طريقهم فيستبصرون به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾.^(٦٣) وهو فرقان لأنه يفرق به بين الحق والباطل، وضياء لغاية وضوحه فيتوصل به إلى طرق الهداية وسبل النجاة في معرفة الله ﷻ ومعرفة الشرائع،

وهو ذكر أي: تذكرة وموعظة، وذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، وشرف ومكانة لهم.^(٦٤)

وقال في وصف كتابه الإنجيل المتزل على رسوله عيسى بن مريم ﷺ: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾.^(٦٥)

هدى يهدي من الضلالة إلى الصراط المستقيم، ونور لما فيه من الإيضاح وحسن البيان في العلم والطاعة والإيمان، يضى للهداة طريقهم ويكشف عنهم المشكلات والشبهات، والتسكير في الوصفين للتفخيم.^(٦٦)

ووصف سائر كتبه المتزلة والتي جاءت بها الرسل بأنها نور، نيرة بنفسها منيرة لغيرها، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾.^(٦٧)

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٦٨﴾ .

فرسل الله جاءوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب المتزلة التي هي نور بها تنكشف الظلمات، وتنجلي المدلهمات.

وهاتان الآيتان جاءتا في موضعين مختلفين فاختلف أسلوبهما من حيث اقتران الباء وعدمه، فقد اقترنت الباء في آية فاطر وتجردت في آية آل عمران، لأن الثانية في سياق زعم اليهود ألا تقبل معجزة رسول إلا معجزة قربان تأكله النار، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾. (٦٩)

فقبل في التفرد بيهتاتهم: قد كُذبت الرسل الذين جاء الواحد منهم بأنواع المعجزات، فترك إعادة الباء إشارة إلى أن الرسل قد جاءوا بالأنواع الثلاثة.

وأما آية فاطر فهي في مقام تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر ابتلاء الرسل بتكذيب أمهم على اختلاف أحوال الرسل، فمنهم الذين أتوا بالآيات، ومنهم من أتى بالزبر والمواعظ، ومنهم من جاء بالكتاب المنير و الشرائع، فذكر الباء إشارة إلى توزيع أصناف المعجزات على أصناف الرسل. (٧٠)

فتبين أن القرآن العظيم نور وكتب الله المتزلة نور، يهتدي به المهتدون، ويأتى به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمة الجهل، ولما ذم الله ﷺ من يجادل ويخاصم بالباطل ليدحض به الحق ويقلد أئمة الضلال بين أن جداهم في الله بعد ظهور الأدلة أمر مستغرب، ويزيده غرابة وبشاعة إذا كان لا يقوم على دليل ولا معرفة، ولا هدى مرشداً، ولا وحي منير يستندون عليه يظهر لهم الحق وينير القلب والعقل. (٧١)

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٧٢).

فتلك حجج باطلة ومجادلة ساقطة لكونها لا تعتمد على علم ولا هدى وكتاب من الله تستنير به .

الفصل الرابع: الرسول ﷺ نور يهتدى به

الرسول ﷺ هو السفير من الله ﷻ إلى عباده وحامل وحيه، ومهمته إبلاغ الرسالة وإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهداية، ودعوتهم إلى الخير، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَايَتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (٧٣)

فوظيفة الرسول ﷺ هداية الخلق وإنارة الطريق لهم وإزالة الظلمات وكشف الشبهات لما معه من

النور والعلم والبيان، كما قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٧٤).

هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف الرسول ﷺ بأنه نور يشرق ويضيء للناس طريقهم، نور قد جاء من عند الله وسراج منير، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾^(٧٥).

النور هو الرسول ﷺ أنار الله به الحق، والكتاب المبين هو القرآن العظيم بيّن في نفسه مبين للحق،^(٧٦) قال ابن جرير الطبري في تفسيره « يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ ﴾، يا أهل التوراة والإنجيل، ﴿ مِنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾، يعني بالنور: محمداً الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به، بيّن الحق، ومن إنارته الحق تبيّنه لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب، وقوله: ﴿ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾، يقول جل ثناؤه: قد جاءكم من الله تعالى النور الذي أنار لكم به معالم الحق، وكتاب مبين، يعني: كتاباً فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم من توحيد الله، وحلاله وحرامه، وشرائع دينه، وهو القرآن الذي أنزله «.اهـ»^(٧٧)

وتقديم الجار والمجرور ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ على الفاعل ﴿ نُورٌ ﴾ للمسارعة إلى بيان كون الحجيء من جهته ﷺ، وللتشويق إلى الجائي، وتووين ﴿ نُورٌ ﴾ للتفخيم.^(٧٨)

وكما وصف القرآن الكريم الرسول محمداً □ بالنور وصفه بما هو أبلغ وأعظم، وهو أنه سراج منير يضيء لمن استضاء بضوئه، كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(٧٩). داعياً يدعو الخلق إلى عبادة ربهم بأمره وقدرته، وسراجاً يضيء للخلق يستضيئون بالنور الذي جاءهم به من عند الله.

قال ابن سعدي: « كونه سراجاً منيراً، وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة لا نور يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله ﷻ بهذا النبي الكريم ﷺ، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضلالاً إلى الصراط المستقيم، فأصبح أهل الاستقامة قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام ﷺ وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة. وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة » اهـ.^(٨٠)

ولما كان المقام مقام دعوة وإرشاد إلى الهداية واستنارة من الظلمات وُصف ﷺ بأنه سراج، والسراج المصباح الزاهر نورُه الذي يوقد بفتيلة في الزيت فيضيء إضاءة بليغة، وهذا الوصف من التشبيه البليغ، والقصد منه تقريب المشبه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل وكان من مقتضى هذا التشبيه شدة الإضاءة ولذا وصفت الشمس بالسراج كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾^(٨١).

ولما كان من السُّرُج ما لا يضيء جاء التأكيد بقوله: ﴿ مُنِيرًا ﴾ ولأن التصريح به يفيد أنه ينير على من اتبعه ليسير في أعظم ضياء، ومن تخلف عنه كان في ظلمات مدممة.^(٨٢)

الفصل الخامس: دين الله هو النور المبين

اختار الله ﷻ الإسلام ديناً، وفضله على جميع الأديان، وخلق لأجله الخلق وأنزل به كتابه وأرسل به رسوله ﷺ بشيراً ونذيراً لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ودين الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله غيره وهو الدين الكامل الشامل لكل ما يحتاج إليه البشر في عبادتهم ومعاملاتهم وأحوالهم الصالح لكل زمان ومكان، هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف هذا الدين بأنه نور، نور من عند الله، وإنما سماه الله نوراً، لأن هذا الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ مشتمل على بيان الحق من الباطل في أحكامه وأخباره، وعلى الأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والأعمال الصالحة والآداب النافعة، وهذه كلها نور للعباد يستنبطون بها في حياتهم ويخرجون بها من ظلمات الجهل والضلال^(٨٣)، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٨٤).

والقرآن الكريم يكشف عمّا يكنه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن شاكلهم من المشركين من الممالة والتألب على هذا الدين، ومحاولة إطفاء هذا النور بتكذيبهم وبأقوالهم التي لا مستند لها، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٨٥).

ونور الله دينه وشرعه الذي أثار به الدنيا، وانقشعت به الظلمة، وانتشر في الآفاق حتى أنارت به قلوب العباد، وهذا تمثيل لحالهم في محاولة إبطال دين الله وشرعه بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم ليطفئه ويذهب أضواءه، كمن يريد إبطال نور الشمس بنفخه فيها، وليس له ذلك، وهذا أسلوب تمكّم بهم وسخرية، وشرع الله هو النور الباهر الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، لأن الله ﷻ أراد إظهاره وإتمامه بانتشاره على الأديان كلها.^(٨٦)

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٨٧).

وفي هذه الآية جيء باللام في: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾، والقصد تأكيد معنى الإرادة، كقولك: جئتك لإكرامك، وجرى بالجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، لإفادة ثبات تمام النور ودوامه، فكأن هذه الآية نتيجة لما أخبر في آية التوبة بأنه يأبى إلا إتمام نوره^(٨٨).

الفصل السادس: النور نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوا بما جاءت به الرسل وانقادت جوارحهم له هم أولياء الله ﷻ الذين تولوه فلا ييغون عنه بدلاً، واتخذوه ولياً ونصيراً، فتولاهم ﷻ وأحسن إليهم فأخرجهم من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والهداية والطاعة والعلم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٨٩) وأما غيرهم وهم الكفار فيان وليهم الشيطان وحزبه الذي كان يعدهم ويمتيعهم المواعيد الكاذبة والأمان الخادعة، فلما تولوه من دون الله كان لهم ولياً فأخرجهم من نور الإيمان والهداية والطاعة والعلم إلى ظلمات الكفر والضلال والمعاصي والجهل فكان ذلك سبباً في أن مصرهم إلى النار وجزاءهم الخلود فيها،^(٩٠) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٩١) وهذا النور العظيم نور الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته ونور العلم به، ونور الهداية إلى صراطه المستقيم ونور الطاعة والعبودية والخضوع له ﷻ، ومن يوفق إليه فإن الله يوفقه يارادته وتوفيقه لسبيل سبب النجاة والسلامة من العذاب ويوصله إلى دار السلام وهي الجنة، ويجنبه ظلمات الكفر والجهل والضلال والمعاصي^(٩٢).

قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾^(٩٣) والضمير في: ﴿بِهِ﴾ عائد على الرسول ﷻ أو القرآن الكريم أو عليهما^(٩٤)، الوارد في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٩٥) فمن اهتدى بهدى الله واتبع رضاه وفقه لسبب النجاة والسلامة من العذاب وأوصله إلى دار السلام، وأخرجه من ظلمات الكفر والجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان والهداية .

ولا ريب أن الرسول الكريم ﷻ وهو السراج المنير سبب لإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال والكفر والمعاصي إلى نور الإسلام والعلم والهداية، كما قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٩٦).

قال ابن جرير الطبري: «أي: لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر، إلى نور الإيمان وضيائه، وثبّر به أهل الجهل والعمى سبب الرشاد والهدى» اهـ.^(٩٧)

يهديهم النبي ﷻ بهذا القرآن الكريم والذكر الحكيم، ويخرجهم من ظلمات الجهل والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والهداية والطاعة، قال تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ

لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٩٨﴾.

وإنما خص المؤمنين بالإخراج تخصيصاً لهم واهتماماً بشأنهم وإن كان الإخراج لعموم الناس. (٩٩)

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (١٠٠)

وهذا من لطفه ورأفته وعنايته أيضاً بالمؤمنين أن أنزل عليهم الآيات البينات والدلائل الساطعات على عبده ونبيه وخيرته من خلقه، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والضلال والكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعة والهداية. (١٠١)

كما أن من لطفه ورحمته ﷺ أنه لما أرسل رسوله موسى ﷺ بالآيات الواضحات والمعجزات الباهرات وكان ذلك سبباً في إخراج قومه من ظلمات الكفر والجهل والضلال إلى نور الطاعة والإيمان والعلم والهداية. (١٠٢)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَايَتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ اللَّهَ﴾. (١٠٣)

فكان رسوله موسى ﷺ سبباً في إخراج قومه من الظلمات إلى النور.

ومن لطفه وإحسانه ﷺ أن جعل من صلاته وثنائه على عباده وأوليائه المتقين، ومن صلاة ملائكته ودعائهم لهم ما يخرجهم من ظلمات الجهل والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والعلم والطاعة، وهذا لا شك أنه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده الصالحين الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله الذي لطف بهم ووقفهم لهذا الفضل العظيم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾. (١٠٤)

وفعل المضارع: ﴿يُصَلِّيٰ﴾ يفيد التجدد والاستمرار، كما أن إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور، وهم في نور الإيمان والطاعة للاستزادة، كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى﴾ (١٠٥) (١٠٦)، فمن اهتدى بهدى الله انشرح صدره للإسلام واطمن قلبه لمعرفة ربه وانقاد لطاعته فأصبح على نور وبصيرة ويقين واهتداء بنور الإسلام، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٠٧)، وإنما ذكر شرح الصدر باستضاءته بنور الإيمان ولم يذكر القلب الذي فيه ليدل على شدته وكثرته التي اتسعت فملأت الصدر فضلاً عن القلب، أما القسوة فقد ذكر فيها القلب ليدل على فساده، وأنه بفساده فساد البدن كله، وإسناد شرح الصدر إلى الله ﷻ دليل على أن ذلك يارادته وتوفيقه وأنه

خير، بخلاف قسوة القلب فإنها شر محض، وكان مقتضى المقابلة أن يعبر بالضيق وإنما وصفهم بقسوة القلوب لأن ذلك يفيد عدم قبول شيء بخلاف الضيق فإنه مشعر بقبول شيء ولو قليلاً،^(١٠٨)

ولما نادى ﷺ المؤمنين عموماً وأمرهم بلزوم تقواه والإيمان برسوله ﷺ بين أثر ذلك وهو حصول الكفلين، وهما الأجران العظيمان، لا يعلم قدرهما إلا الله وحصول النور من العلم والهدى والطاعة الذي يمشي به عباده المتقون في ظلمات الجهل والضلال والمعاصي وزيادة على ذلك نور الآخرة عندما يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وحصول مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٠٩)، قيل: الخطاب لأهل الكتاب نظراً لسياق الآيات، والأجران لإيمانهم بالأنبياء السابقين وبمحمد ﷺ، وقيل: الخطاب لعموم المؤمنين، وهو الظاهر، لتصدير الآية بندايتهم، والأجران فضل وإكرام. والتعبير بـ: ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ تشبيهاً لحالهم في العلم والهدى بحال قوم يمشون في طريق بليل يخشون التيه والضلال، فيعطون نوراً يستضيئون به فيبصرون فيأمنون بالضلال^(١١٠)، وهذا النور العظيم هو نور الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، ونور العلم به ﷺ، وبآياته، ونور الهداية إلى صراطه المستقيم، ونور الطاعة والعبودية والخضوع له، ومن منحه الله ﷺ من هذا النور فاستنار قلبه بذلك فهو الموفق لكل خير، وهذه هي السعادة الحقيقية التي يتحقق بها رضوان الله وتحصل بها النجاة والسلامة من العذاب، والوصول إلى دار السلام، وأن يسلم صاحبها من ظلمات الكفر والجهل والضلال والمعاصي، وهذا النور ليس لكل أحد، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(١١١)، فمن حرم، ولم يوفق للاهتمام بنور الطاعة والإيمان والعلم، والتنعم بنعمة الطاعة ولم يسعد بهذه السعادة فهو الميت حقيقة، الغارق في ظلمات الكفر والضلال والجهل والمعاصي إلا من أحياه الله بنور الإيمان والهداية والعلم والطاعة فهو يستضيء بهذا النور، ويمشي به بين الناس متبصراً في أموره مهتدياً لسيبله، عالماً بسبل النجاة سالكاً لها مبتعداً عن طرق الغي والضلال، فهل يستوي هذا بمن هو في ظلمات الجهل والضلال والمعاصي منغمساً فيها قد التبست عليه الطرق وأظلمت عليه المسالك؟

قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١٢)، فإن سأل سائل: لم يسلك هؤلاء المسالك المظلمة، طرق الغي والمعاصي والضلال؟ ومن يرضى أن يبقى في هذه الظلمات؟ فالجواب هو قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي: أن الشيطان زين لهم أعمالهم وحسن لهم القبايح حتى صارت لهم صفة لازمة لا تنفك عنهم أبداً.^(١١٣)

فلا يستوي من هو على نور من ربه ومن هو منغمس في ظلمات الضلال والردى، كما لا يستوي

الأعمى والبصير، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾^(١١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾^(١١٥)، قال ابن جرير الطبري في تفسير آية الرعد: «يقول تعالى ذكره: وهل تستوي الظلمات التي لا ترى فيها الخجة فتسلك، ولا يرى فيها السبيل فيركب، والنور الذي تبصر به الأشياء، ويجلو ضوءه الظلام؟ يقول: إن هذين - لا شك - لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله إنما صاحبه منه في حيرة يضرب أبدأ في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفة منه بأن له مثيباً ينبيه على إحسانه ومعاقباً يعاقبه على إساءته ورازقاً يرزقه ونافعاً ينفعه» اهـ.^(١١٦)

الخاتمة:

أحمد الله حمداً كثيراً أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع

به.

هذا وإن لفظ النور من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وتعددت معانيه وهذا الأمر مما قد يشكل على الكثير، فكانت هذه الدراسة من جمع ونقل وبيان سبيلاً إلى كشف هذه الألفاظ المتفقة في ظاهرها والمتداخلة، والوصول إلى معانيها المختلفة بشيء من النظر والتأمل والتدبر فيما ورد منها في كتاب الله ﷻ .

ويمكن أن أوجز أبرز ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج في النقاط التالية:

أولاً: أن النور في لغة العرب يدور على معان أشهرها: الإضاءة التي تعين على الإبصار، وسرعة التحرك، والاضطراب، والنفور من الشيء، وأنه يقابل الظلمة.

ثانياً: أن لفظ النور جاء في القرآن الكريم منكرًا ومعرفًا في تسعة وأربعين موضعًا، تقصتها هذه الدراسة موضعًا موضعًا.

ثالثاً: أن النور في وروده في كتاب الله ﷻ شمل النور الحسي الذي يساعد على الإبصار كنور الشمس والقمر، والمعنوي وهو ما يعقل بعين البصيرة كنور الهداية والطاعة.

رابعاً: أن النور بنوعيه الحسي والمعنوي كما أنه يكون في الدنيا كذلك يكون في الدار الآخرة، فيسعى المؤمنون بنورهم في عرصات يوم القيامة وعلى الصراط .

خامساً: اجتمع لكلمة النور في القرآن الكريم من المعاني ما يقرب من العشرة، تناولتها هذه الدراسة في ستة فصول، اتضح من خلالها أن النور حقيقته الضياء والاستنارة، وأن النور اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى ومن صفاته العليا، وأنه وصف للقرآن العظيم وغيره من الكتب المتزلة، وهو أيضاً من صفات نبينا الكريم ﷺ وصفات ديننا القويم ، وأن النور في الحقيقة هو نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

خامساً: أن النور في هذه المعاني أغلبية معنوي، أي أنه بمعنى نور البصيرة مما يحمل معنى الهدى والعلم والطاعة والإيمان والسعادة وانسراح الصدر، وهذا هو الأجدر بالأهمية والنظر والتأمل .

هذا وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية البحث بلفظ من الألفاظ المتعددة المعنى مما حواه كتاب الله، واهتمام المفسرين بذلك، كما أظهرت هذه الدراسة ما اشتملت عليه كتاب الله من أسرار بلاغية، ونكات بديعية، ولطائف خفية لا تنفذ ولا تنحصر، فمن تدبر كتاب الله العظيم، وتأمل آياته زاده ذلك إيماناً و يقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم، وهذا سرٌّ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وختاماً أحمد الله جل جلاله على ما يسرّ وسهّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

- (١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٣٦٨/٥)، وابن فارس: أبوالحسين أحمد بن فارس الرازي من أئمة اللغة والأدب، توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (٣٥٨/١١)، السيوطي، بغية الوعاة (٣٢٥/١).
- (٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص ٦٢٨.
- (٣) انظر: الجوهري، الصحاح (٨٣٨/٢)، الفيومي، المصباح المنير (٦٣٠/٢)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص ٦٢٨.
- (٤) ابن منظور، لسان العرب (٢٤٠/٥).
- (٥) سورة الأنعام، الآية (١).
- (٦) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/٢)، الرازي، التفسير الكبير (١٥١/١٢).
- (٧) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ١٥٦٧/٣ برقم (١٩٧٨).
- (٨) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٤١/١٣.
- (٩) انظر: ابن منظور، لسان العرب (٢٤٣/٥).
- (١٠) سورة المائدة، الآية (١٥).
- (١١) سورة يونس، الآية (٥).
- (١٢) سورة الأنعام، الآية (١).
- (١٣) سورة الحديد، الآية (١٢).
- (١٤) الراغب الأصفهاني، المفردات ص ٥٣٠. والراغب الأصفهاني: الحسين بن الفضل، أديب مفسر لغوي، عاش ببغداد وتوفي سنة (٥٠٢)، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨)، عادل نويهض، معجم المفسرين (١٥٨/١).
- (١٥) الجرجاني التعريفات ص ٢٤٦.
- (١٦) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون (٢١١/٤).
- (١٧) سورة يونس، الآية (٥).
- (١٨) انظر: الشوكاني، فتح القدير (٤٢٥/٢)، الألوسي، روح المعاني (٦٧/١١)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩٤/١١).
- (١٩) سورة الفرقان، الآية (٦١).
- (٢٠) سورة نوح، الآية (١٦).
- (٢١) سورة النبأ، الآية (١٣).
- (٢٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٢٤).
- (٢٣) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات ص ٥٧٢.

- (٢٤) سورة الأنعام، الآية (١).
- (٢٥) انظر: الزمخشري ، الكشاف (٣/٢) ، الرازي ، التفسير الكبير (١٥١/١٢) ، أبا السعود إرشاد العقل السليم (١٦١/٢) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص (٢٥٠).
- (٢٦) سورة النور، الآية (٣٥).
- (٢٧) انظر: أبا السعود ، إرشاد العقل السليم (١١٨/٤) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٨
- (٢٨) سورة البقرة، الآية (١٧).
- (٢٩) انظر: الزمخشري ، الكشاف (٧٤/١) ، الرازي ، التفسير الكبير (٧٥/١) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٤٤ ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٣٠٨/١).
- (٣٠) سورة الحديد، الآيتان (١٢-١٣).
- (٣١) انظر: أبا السعود ، إرشاد العقل السليم (٢٧٦/٥) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٩.
- (٣٢) انظر: البقاعي ، نظم الدرر (٢٧٤/١٩) ، الألوسي ، روح المعاني (١٧٦/٢٧) ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٣٨٠/٢٧) .
- (٣٣) سورة التحريم، الآية (٨).
- (٣٤) انظر: الراغب الأصفهاني ، المفردات ص ١٤٧ ، البقاعي، نظم الدرر (٢٠٤/٢٠) ، الألوسي ، روح المعاني (١٦١ /٢٨) .
- (٣٥) انظر: ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل (١٠٧١/٢) .
- (٣٦) سورة الحديد، الآية (١٩) .
- (٣٧) انظر: البغوي ، معالم التنزيل (٢٩٨/٤) ، الرازي ، التفسير الكبير (٢٣٢/٢٩) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٤٠ .
- (٣٨) سورة النور، الآية (٣٥) .
- (٣٩) انظر: ابن القيم ، مختصر الصواعق المرسله (٢٠٢/٢) .
- (٤٠) البخاري ، صحيح البخاري (٥٣/١) برقم (١١٢٠) ، ومسلم ، صحيح مسلم (٥٣٢/١) برقم (١٢٨٨) .
- (٤١) انظر: أبا السعود ، إرشاد العقل السليم (١١٨/٤) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٨
- (٤٢) ابن القيم ، الوابل الصيب ص ١١٦ بتصرف يسير .
- (٤٣) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥٨/٦ ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٨
- (٤٤) انظر: الزمخشري ، الكشاف (٢٤١/١) ، البيضاوي ، أنوار التنزيل (١٢٤/٢) ، الألوسي ، روح المعاني (١٦٨/١٨) .
- (٤٥) سورة الزمر، الآية (٦٩) .

- (٤٦) انظر: الطبري ، جامع البيان (٢٢/٢٤) ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (١١٨/٧) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٧٢٩
- (٤٧) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٦٨/٢٤) .
- (٤٨) سورة إبراهيم، الآية (١) .
- (٤٩) سورة النساء، الآية (١٧٤) .
- (٥٠) انظر: الرازي ، التفسير الكبير (١٢٠/١١) ، أبا السعود ، إرشاد العقل السليم (٨٢٦/١) ، الآلوسي ، روح المعاني (٤٢/٦) .
- (٥١) انظر: أبا السعود ، إرشاد العقل السليم (٨٢٦/١) ، الآلوسي ، روح المعاني (٤٢/٦) .
- (٥٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٧) .
- (٥٣) انظر: الآلوسي ، روح المعاني (٨٢/٩) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٥ ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٣٨/٩) .
- (٥٤) انظر: الزمخشري ، الكشاف (١٦٦/٢) .
- (٥٥) سورة التغابن، الآية (٨) .
- (٥٦) انظر: البيضاوي ، أنوار التنزيل (٤٩٩/٢) ، الآلوسي ، روح المعاني (١٢٣/٢٨) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٦٦ ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٧٣/٢٨) .
- (٥٧) سورة الشورى، الآية (٥٢) .
- (٥٨) انظر: الآلوسي ، روح المعاني (٥٨/٢٥) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٧٦٢ ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٥١/٢٥) .
- (٥٩) سورة المائدة الآية (٤٤) .
- (٦٠) انظر: السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٢٣٢
- (٦١) سورة الأنعام، الآية (٩١) .
- (٦٢) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٣٠٠/٣) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٢٦٤
- (٦٣) سورة الأنبياء (٤٨) .
- (٦٤) انظر: الرازي ، التفسير الكبير (١٧٨/٢٢) .
- (٦٥) سورة المائدة، الآية (٤٦) .
- (٦٦) انظر: أبا السعود ، إرشاد العقل السليم (٦٥/٢) .
- (٦٧) سورة آل عمران، الآية (١٨٤) .
- (٦٨) سورة فاطر، الآية (٢٥) .
- (٦٩) سورة آل عمران، الآية (١٨٣) .
- (٧٠) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٩٨/ ٢٢) .

- (٧١) انظر: الطبري ، جامع البيان(٩٢/١٧)، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٥٣٣ .
- (٧٢) سورة الحج، الآية(٨)، وورد مثلها في سورة لقمان الآية (٢٠).
- (٧٣) سورة إبراهيم، الآية(٥).
- (٧٤) سورة الشورى، الآية(٥٢).
- (٧٥) سورة المائدة، الآية(١٥).
- (٧٦) وهذا هو الرأي الصحيح في معنى الآية، وعليه جمع من المفسرين، لأن العطف يقتضي المغايرة ، وقيل: النور هو القرآن، وقيل هو الإسلام، انظر: الرازي ، التفسير الكبير (١٨٩/١١)
- (٧٧) الطبري ، جامع البيان(٦/ ١٠٤).
- (٧٨) انظر:أبا السعود إرشاد العقل السليم (٢٧/٢).
- (٧٩) سورة الأحزاب، الآية(٤٦) .
- (٨٠) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧ وابن سعدي: عبدالرحمن بن ناصر السعدي من علماء القصيم برع في فنون شتى وألف مؤلفات عديدة، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر:آل الشيخ عبد الرحمن ، مشاهير علماء نجد ص(٢٩٢)، عادل نويهض ، معجم المفسرين (٢٧٩/١).
- (٨١) سورة نوح، الآية (١٦).
- (٨٢) انظر: الآلوسي ، روح المعاني (٤٦/ ٢٢)، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٥٤ / ٢٢) .
- (٨٣) انظر: السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٣٣٥
- (٨٤) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).
- (٨٥) سورة التوبة، الآية (٣٢).
- (٨٦) انظر:أبا السعود ، إرشاد العقل السليم (٥٤٥/٢)، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٥، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٧١/١٠).
- (٨٧) سورة الصف، الآية (٨).
- (٨٨) انظر: الزمخشري ، الكشاف(٥٢٥/٤) ، البقاعي ، نظم الدرر(٣٠/٢٠) .
- (٨٩) سورة البقرة، الآية (٢٥٧).
- (٩٠) انظر: الطبري ، جامع البيان(١٥/٣)، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ١١١
- (٩١) سورة البقرة، الآية (٢٥٧).
- (٩٢) انظر: البغوي ، معالم التنزيل (٢٤١/١) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ١١١
- (٩٣) سورة المائدة، الآية (١٦).
- (٩٤) انظر:الشوكاني ، فتح القدير (٢٣/ ٢)
- (٩٥) سورة المائدة، الآية (١٥).
- (٩٦) سورة إبراهيم، الآية (١).

- (٩٧) الطبري ، جامع البيان(١٣/١٢٠).
- (٩٨) سورة الطلاق، الآية (١١).
- (٩٩) انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير(٢٨/٣٣٨).
- (١٠٠) سورة الحديد، الآية (٩).
- (١٠١) انظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٨
- (١٠٢) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧٨).
- (١٠٣) سورة إبراهيم، الآية (٥).
- (١٠٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٣).
- (١٠٥) سورة مريم، الآية (٧٦).
- (١٠٦) انظر: الطبري ، جامع البيان (٢٢/١٣)، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧، ابن عاشور ، التحرير والتنوير(٢٢ / ٥٠).
- (١٠٧) سورة الزمر، الآية (٢٢).
- (١٠٨) انظر: البقاعي ، نظم الدرر (١٦/٤٨٥)، الألوسي ، روح المعاني (٢٣/٢٥٧) ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٣/٣٧٩).
- (١٠٩) سورة الحديد ، الآية (٢٨).
- (١١٠) انظر: الألوسي ، روح المعاني (٢٧/١٢٣)، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٨٤٣، ابن عاشور ، التحرير والتنوير(٢٧/٤٢٩).
- (١١١) سورة النور، الآية (٤٠).
- (١١٢) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).
- (١١٣) انظر: البقاعي ، نظم الدرر(٧/٢٥٢) ، السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٢٧١ .
- (١١٤) سورة الرعد، الآية (١٦).
- (١١٥) سورة فاطر، الآية (٢٠).
- (١١٦) الطبري ، جامع البيان (١٣/٨٩).

المصادر والمراجع

- ١- أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ٢- أبوالسعود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ت عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- ٣- الأصفهاني، الراغب الحسين بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ت نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٤- الألوسي، الشهاب محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- ٥- آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة، ط٢، ١٣٩٤هـ.
- ٦- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ت: سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- ٧- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ت خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ٨- البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.
- ٩- البيضاوي عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٠- النهانوي، محمد علي، كشف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١١- الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ١٢- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.
- ١٣- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- ١٤- الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث، لبنان.
- ١٥- الرمخشمري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- ١٦- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مكتبة العبيكان ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ١٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت محمد أبو الفضل

- إبراهيم- دار الفكر- بيروت، لبنان.
- ١٨- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، مكتبة المعارف، الرياض.
- ١٩- الطري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.
- ٢٠- عادل نويهض، معجم المفسرين، م نويهض الثقافية، لبنان، ١٤٠٩هـ.
- ٢١- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.
- ٢٢- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، ت سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
- ٢٣- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.
- ٢٤- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس الخيظ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ٢٥- الفيومي، أحمد محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- ٢٦- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، اختصار: محمد ابن الموصلي، دار الفكر.
- ٢٧- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، ت إسماعيل الأنصاري نشر، رئاسة إدارات البحوث العلمية، الرياض.
- ٢٨- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- ٢٩- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٣٠- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبدالباقي نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ١٤٠٠هـ.
- ٣١- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٣٢- النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.